٣

فترة الإعداد

متى ٣-٤:١١؛ مرقس ١:١-١٣؛ لوقا ٢:٤٠-٤:١٣؛ يوحنا ١:١٩-٢٨

تأليف: ب. س. دين

١. سنوات الصمت في الناصرة

سكن يسوع في الناصرة لمدة ثلاثين سنة. كانت تلك القرية الصغيرة محتقرة من قبل اليهود الساكنين في اليهودية وأورشليم الأكثر ثقافة، وعندما برز يسوع من المكان غير المشهور، اطلقوا عليه وعلى تلاميذه أسم الناصريين أزدراءاً بهم.

١. انضباط الإناجيل.- في تباين ظاهر مع الحدث المتجمع حول مهده، فان خدمته وصليبه هما نتيجة صمت السنوات الثلاثين، ليس كما كتب الكُتاب غير الموحى إليهم السيرة، فانهم يحبون البقاء في أحداث الطفولة والعلامات والوعد بنشوء الشخصية المميزة، وبهذا الروح كتب بعض الكُتاب الكتب المشكوك في صحة معلوماتها عن السنوات الأولى لحياة يسوع. ملأوا كتاباتهم بأعاجيب ومعجزات مبكرة وقبل آوانها، قصدوا أن يكرموه بها ولكن في الحقيقة أنهم أهانوه بها. انضباط إنجيلنا هو إثبات لكل من قصة ووحي الكُتاب.

٢. التأثيرات التعليمية.- لم يتربى يسوع في حالة بطالة أو جهل، لقد كان نجاراً وابن النجار الحسن السمعة (متى ٥٥:١٣؛ مرقس ٣:٦). كان على كل يهودي أن يتعلم مهنة، وكان الفلاحون يعرفون القراءة والكتابة. الإشارة إلى عدم تعليمه (يوحنا ١٥:٧) تعني فقط انه لم يكن قد تعلم في مدارس التوراة، لم يكن من خريجي الجامعات كما نقول اليوم. لا يستبعد الاحتمال انه كان يعرف ثلاث لغات: الأرامية - لغة الأم، والعبرية - لغة التوراة الأصلية، واليونانية - لغة الأدب. مع انه كان فقير جداً بحيث لا يمكنه الحصول على نسخة من الأسفار المقدسة، كان يجدها عن طريق مجمع القرية، وربما كان هناك بعض الأجزاء منها في بيت النجار.

٣. زيارته إلى أورشليم.- بذكر واحد من وسائل التعليم المهمة (لوقا ٤٦:٢-٥١). كان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح. وكانا يقطعان في هذه الرحلة مسافة ثمانون ميلا خلال مناطق مليئة بذكريات الأحداث التاريخية. كانت أورشليم نفسها محبوبة من قبل سكانها كما لم يسبق لأية عاصمة من قبل. كان الوافدون إليها من بلدان لا تُحصى، يتكلمون بعدة لغات يزحمون شوارعها ويحتشدون في مجمعها. بالنسبة للولد المتألق والمُمجد، لا بد أن مثل هذه الرحلة السنوية كانت حالَة تعليم في حد ذاتها. مرة واحدة فقط وفي ثلاثين سنة رُفع فيها حجاب الغموض. كان عمره اثنتي عشرة سنة هي نقطة التحول للصبي اليهودي. بدأ يتعلم النجارة في الثانية عشر من عمره، وكان هذا يُدعى «سن الرشد»، لا يمكن لأبيه أن يخدعه فيما بعد، بدأ يرتدي الحجابات، وكان يُدعى «ابن القانون». يبدو أن يسوع قام بأول زيارة إلى أورشليم في هذا العمر الخطر. قام والداه بمرافقته في رحلة يوم واحد وعند عودتهما إلى البيت أفتقدا الصبي. وعند ذلك رجعا وبحثا عنه كل اليوم بقلق في أورشليم، وأخيراً وجداه، لم يجداه مع الأولاد في الشارع، ولم يكن يشاهد المواقع التاريخية، وإنما في الهيكل، أمام من لديهم الدكتوراه في الناموس يستمع إليهم ويطرح عليهم الأسئلة. «لماذا تطلباننني؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي؟» (لوقا ٤٩:٢). هذه كانت أولى كلماته المسجلة وهي الفكرة الرئيسية لحياته كلها. مع انه رجع مع

أهله إلى الناصرة واستمر في الخضوع إليهما، ولكن كانت للزيارات الدورية إلى أورشليم بلا شك تأثير هام في تكوين شخصيته ونمو خطته.

لا نتمالك أنفسنا بالسؤال: متى وكيف عرف يسوع عن طبيعته وشخصيته الإلهية؟ هل شعر بها صدفة أو نمت فيه تدريجياً كالإدراك بالنفس في الطفل العادي؟ هل نمت من أحاديث الأسرة عن أعاجيب ميلاده، أم انبثقت فيه؟ مثل هذه الأسئلة تحملنا إلى ما وراء نطاق قابليتنا وإلى حد أبعد مما تم اعلانه. ولكن يبدو بكل وضوح بان في الثاني عشر من عمره أنه كان يعرف عن أصله الإلهي.

٤. دروس سنوات الصمت.- بطريقة علنية كان يسوع يهتم بما لأبيه لمدة ثلاث سنوات فقط، مع انه كان حقاً يقوم بعمل الله في سنوات الصمت كما كان قد علم الجموع أو مات بسبب خطايانا. ما عمله يسوع كان يتناسب بما هو عليه، وما وصل إليه خلال ثلاثين سنة من النمو «في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس» (لوقا ٢:٥٢). حاجة العالم الماسة هي الشخصية، ولم تضيع سنوات الإعداد التي انتجت مثل هذا الرجولة كما برز من الناصري البسيط.

٢. خدمة المعمدان

١. إحياء النبوة.- مضى أربعة قرون منذ آخر صوت للنبوءة العلنية. آخر نبي يهودي كان (ملاخي ٤:٥ و ٦) كما إشعياء (٤٠:٣)، الذي تنبأ عمن يسبق المسيح. عند الاعلان، ومرة أخرى عند ميلاده، كان يُشار إلى يوحنا على أنه الذي يسبق المسيح. بعد السجل المفصل عن ميلاده وختانه، آية واحدة في (لوقا ١:٨٠) تحتوي على كل ما سجل عنه في الثلاثين سنة. كان عليه أن يكون ناصرياً بالميلاد (لوقا ١:١٥؛ أنظر سفر العدد ٦:١-٥)، وعندما ظهر في البرية كان هذا في حضرة الأنبياء العبرانيين القدماء. أستخدمت عزلته الطويلة بلا شك للتدريب الذاتي والتأمل العميق في خطايا الزمان، والرؤية النبوية عن المسيح ومملكته. لم يبحث عن المدن، وإنما كان يبشر في البرية وهي مقاطعة صغيرة بجانب نهر الأردن.

٢. قوة خدمته.- خدمته التي دامت سنتين حققت أكثر من خدمات خمسين سنة. «يوحنا لم يفعل آية واحدة» (يوحنا ١٠:٤١) ولكن سريعاً ما أخضعت إليه الأمة، ليس أهل القرية البدائين فحسب، بل خرج الكتبة المثقفون والفريسيون من العاصمة في حشود ليستمعوا لإيليا الثاني هذا. شعر الناس بان الشخص الذي يحمل رسالة إلى نفوسهم قد حضر. لم يفعل كما يفعل المعلمون اليوم، لم يشغل نفسه بطلب التفاصيل عن كيفية حفظ الناموس. كان جزء من مهمته دعوة الأمة من الضلال إلى الحقيقة. وبخ عنف الجنود، وابتزاز العشارين، ورياء الفريسيين وأنانية الجموع (لوقا ٣:١٠-١٤).

٣. اقتراب الملكوت.- خدمة يوحنا لم تنتهي بنفسها، بل كانت خدمة تمهيدية فكرتها الرئيسية هي «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٣:٢؛ ٤:١٧ أنظر أيضاً مرقس ١:١٤ و ١٥). لم يدع انه المسيح، بل كان صوت للتمهيد (يوحنا ١:١٩-٢٣) ولكي يشدد رسالته كان يعمد بمعمودية «التوبة» و «المغفرة» وفي الوقت نفسه، كان يدعو الناس ليؤمنوا بالذي «يأتي» والذي سيعمد بالروح القدس (مرقس ١: ٧ و ٨؛ أنظر أيضاً أعمال ١٩: ٤). لكي تستيقظ الأمة النائمة وينشط ضميرها ويثيرالتوقع بظهور المسيح، ركز أولاً على نفسه، ومن ثم حول الإنتباه إلى يسوع - كان هذا هو هدف ونتيجة خدمته القصيرة.

٤. معمودية يسوع.- بلغت خدمة يوحنا ذروتها بمعمودية يسوع. في أحد الأيام جاء مع الحشود الخاطئة ابن مريم الذي هو بلا خطيئة. لا ندري بانهما تقابلا سابقا على الاطلاق. بكل تأكيد لم يكن يوحنا يعرف بعد انه المسيح (يوحنا ١:٣١-٣٤). ولكن النبي الشجاع الذي واجه الفريسي والملك انحنى بتواضع تام أمام شخصية يسوع المنقطعة النظير: «أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إليّ!» (متى ٣:١٤). كانت معمودية يسوع بالحقيقة ليست كمعموديتنا، انها لم تكن معمودية «التوبة» ولا

« للمغفرة » ومع ذلك كانت محاطة بمغزى عظيم لكل من يوحنا ويسوع. بالنسبة ليوحنا، السموات المفتوحة وحلول الروح القدس والصوت الإلهي القائل: « هذا هو ابني الحبيب » (متى ٣:١٧)، لم يترك أي شك انه كان المسيا الذي يجب أن ينقص قدامه. بالنسبة ليسوع، كما هي لنا تدل المعمودية على وجود أزمة في الحياة، قد منح الروح وحصل على البنوة الإلهية. « مقدساً وطاهراً قبل أن يغطس في المياه، لا بد انه قام منها، في نور مجد أعلى في تأييده. قد مضت حياته السابقة، وبدأ عهداً جديداً. كانت لحظة حقيقية لدخوله حياة جديدة. قد دفنت السنوات السابقة في مياه الأردن، كان قد دخلها يسوع ابن الإنسان، وقام منها مسيح الله » (مقتبس من غيكيس).

٥. التجربة.– اصبح يسوع الأن في بداية خدمته. خلال السنوات الثلاثين السابقة نضجت شخصيته الإنسانية لتتناسب مع التوجه الإلهي، كانت خططه بالغة النضوج أيضاً. هل سيكون له الشجاعة للسعي وراءها بثبات؟ تلك كانت الأسئلة التي ستجيب عليها التجربة. كان المفهوم هو توقع اليهود قدوم مسيا سياسي وصانع عجائب. هل جاء المجرب في شكل ظاهري، أم هجم على يسوع كما يهاجمنا عادة وبنجاح، أي بظنون داخلية وخاطئة؟ قد لن نعرف ذلك، ولكننا نعرف أن التجربة جاءت في ثلاثة أشكال:

أ. من خلال شهوة جسدية.– « ...قل أن تصير هذه الحجارة خبزاً » (متى ٤:٣؛ لوقا ٤:٣). هذه تجربة تهدف إلى أن (١) لا يثق في عناية الآب، (٢) يستخدم قوته لصنع المعجزات لمصلحته الشخصية. ولكن الذي « لم يأت ليُخْدَمَ بل ليَخْدِمَ » (متى ٢٠:٢٨؛ مرقس ١٠:٤٥)، لا يبدأ بسوء استخدام عطاياه الخارقة للطبيعة لأغراض أنانية.

ب. خلال ثقته في الله.– « ... أطرح نفسك إلى الأسفل » (متى ٤:٦؛ لوقا ٤:٩) من جناح الهيكل. ولكن الذي لا يشك في عناية الله لا يستغل تلك العناية ليذهل الجمع.

ت. خلال خطته للسيادة.– يسوع هو المسيح الموعود، وعليه أن يحكم على كل الأرض. « أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي » لا تنتظر الاستيلاء البطيء بالوسائل الروحية، استخدم الأسلحة غير الروحية، اجعل لنفسك تحالفا مع الرجاء الدنيوي لشعبك، ما العرش الذي يمكنك الفوزبه؟ كانت هذه التجربة التي خضع إليها النبي محمد عندما استل السيف، والتي خضعت إليها الكنيسة عندما تلجأ لإستخدام القوة.

انتصر يسوع وفارقه المجرب إلى حين (أنظر لوقا ٤:١٣؛ متى ٤:١١) ليعود في شخصيات الكتبة الغيوريين، مكيدة يهوذا والسنهدريم وفي البغضب الهائج حول الصليب، ولكن لم تستطع أي من الهجمات أن تتغلب على روحه المُخْلِص، والـ « مجرب في كل شيء مثلنا بلا خطيةَ » (عبرانيين ٤:١٥).

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧